

الشأن مشغولون « بالمثل العليا » التي هي وراء الأجساد وتزدري التفكير في الجوع والألم ! لكن ذلك استطراد قد بعد بنا عما أخذنا في تقريره ، وهو أن الإنسان حزمة من شهوات ورغبات ، ليس من الحكمة في شيء أن تُبحث وتقتلع ، وإنما الحكمة هي في نسبتها بعضها إلى بعض نسبة صحيحة ؛ فأشبع هذه الرغبة متى ضعف ما أشبع تلك ، إذا رأيت ذلك يحقق لى في النهاية أوازن الحياة وهدوءها واطراد رقيها — ولست أستطيع إدراك هذا التناسب إلا إن وقفت من رغباتى جميعاً موقف الذى يراها دفعة واحدة ، وتلك هي نظرة الطائر .

وما أكثر ما نصف بالجنون إنساناً ، إذا حللنا وجه النقص فيه ، وجدناه انحصار نظره في نطاق ضيق من جوانب حياته ، أو خضوعه خضوعاً تاماً لعاطفة واحدة أو فكرة واحدة فرضت نفسها عليه فلم يعد يستطيع رؤية ما وراءها أو الإحساس بما عداها ؛ فالذى ينصرف بكل شعوره نحو الحزن على وليد فقده أو مال أضاعه ، مجنون جنون الذى ينصرف بكل إنفاقه نحو الخمر غير آبه لما يتطلبه العيش من رداء ومسكن وخبز وماء ؛ وموضع الجنون هنا هو في النظر بعين الدودة المكفئة بوجهها نحو الأرض فلا ترى أبعد من مليمترين أو ثلاثة ، فتفتوها الدنيا الواسعة العريضة من حولها .

و « العاقل » في نظرتة إلى الأمور نظرة الطائر ، يضيف المستقبل